بسم الله الرحمن الرحيم

عن عبد الله بن عَنَمَةَ قَالَ: رَأَيْتُ عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ دَخَلَ المَسْجِدَ فَصَلَّى، فَأَخَفَّ الصَّلاَةَ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ قُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا اليَقْظَانِ! لَقَدْ خَفَّفْتَ؛ قَالَ: فَهَلْ رَأَيْتَنِي انْتَقَصْتُ مِنْ حُدُودِهَا شَيْئًا؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَإِنِّي بَادَرْتُ بِهَا سَهْوَةَ الشَّيْطَانِ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلاَّ عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا**»(١).

الوسواس كلَّما قلَّ في الصَّلاة كانَ أكمل، وكلَّما زاد ضاعَ من صلاة العَبد بحَسَبه، فحاجَةُ العَبد إلى دفعِه ماسَّة؛ ليفُوز بأجر صلاتِه، فإنَّه ليس له مِن صلاتِه إلَّا ما عقلَ منها، والَّذي يُعينُ على ذلك شيئان: قوَّة المقتَضي، وضَعف الشَّاغل.

أمَّا الأوَّل: فاجتهاد العَبد في أن يعقلَ ما يقولُه ويفعَلُه، ويتدبَّر القراءةَ والذِّكر والدُّعاء، ويستَحضر أنَّه مُناجٍ لله تعَالى كأنَّه يراه، فإنَّ المصلِّي إذا كان قائمًا فإنَّما يُناجي ربَّه.

والإحسانُ: أن تعبدَ الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تَراه فإنَّه يراك، ثمَّ كلَّما ذاقَ العبدُ حلاوةَ الصَّلاة كانَ انجذابُه إليها أوكَد، وهذا يكونُ بحَسَب قوَّةِ الإيمان.

والأسبابُ المقويَّة للإيمان كثيرة؛ ولهذا كان النَّبيُّ ﷺ يقول: «**حُبِّب إليَّ مِن دُنْيَاكم: النِّسَاء، والطِّيبُ، وجُعِلَت قُرَّةُ عَيْني في الصَّلاة**»(٢).

وفي حديث آخر أنَّه قال: «**أرِحْنَا يَا بلال بالصَّلاة**» ولم يقل: أرحنا منها.

وهذا باب واسع.

فإنَّ ما في القَلب من معرفة الله، ومحبَّته، وخشيته، وإخلاص

(١) رواه أحمد (١٨٨٩٤)، وأبو داود (٧٩٦)، وحسَّنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٧٦١).

(٢) رواه أحمد (١٢٢٩٣)، والنَّسائي (٣٩٣٩)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٢٤).

الدِّين له، وخوفه، ورجائه، والتَّصديق بأخباره، وغير ذلك، ممَّا يتباين النَّاس فيه، ويتفاضلون تفاضلا عظيما، ويقوى ذلكَ كلَّما ازداد العبد تدَبُّرًا للقرآن، وفهمًا ومعرفةً بأسماء الله وصفاته وعظمَته، وتفقُّره إليه في عبادته واشتغاله به، بحيثُ يجد اضطرارَه إلى أن يكون تعالى معبوده ومستغاثه أعظَم من اضطراره إلى الأكل والشُّرب، فإنَّه لا صلاح له إلَّا بأن يكونَ الله هُو معبوده الَّذي يطمئنُّ إليه، ويأنسُ به، ويلتذُّ بذكره، ويستَريح به، ولا حصولَ لهذا إلَّا بإعانة الله، ومتَى كانَ للقلب إلهٌ غيرُ الله فسدَ وهلكَ هلاكًا لا صلاحَ معه، ومتَى لم يُعِنه الله على ذلكَ لم يُصْلِحه، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا به، ولا ملجأَ ولا منجَا منه إلَّا إليه.

وأمَّا زوال العَارض: فهو الاجتهاد في دفع ما يُشْغل القلبَ مِن تفكُّر الإنسان فيما لا يَعنيه، وتدبُّر الجواذب الَّتي تجذب القلبَ عن مقصود الصَّلاة، وهذا في كلِّ عبد بحسبه، فإنَّ كثرةَ الوسواس بحَسب كثرة الشُّبهات والشَّهوات، وتعليق القَلب بالمحبوبات الَّتي ينصرفُ القلبُ إلى طلبها، والمكروهاتِ الَّتي ينصرفُ القلب إلى دفعِها.

والوساوس: إمَّا من قَبيل الحبِّ، مِن أن يخطر بالقَلب ما قَد كان؛ أو مِن قبيل الطَّلب، وهو أن يخطر في القَلب ما يريد أن يفعَله.

ومن الوساوس ما يكونُ من خواطر الكُفر والنِّفاق، فيتألَّم لها قلبُ المؤمن تألُّمًا شديدًا، كما قال الصَّحابة: «يا رسُولَ الله! إنَّ أحَدَنا ليَجِدُ في نفسِه مَا لأَنْ يخِرَّ من السَّماء أحبُّ إليه مِن أنْ يتكَلَّم به، فقال: **أوَجَدْتُموه؟**، قالوا: نعَم؛ قال: **ذلك صَريحُ الإيمان**»(٣).

قال كثير من العلماء: فكراهةُ ذلك وبغضُه وفرار القَلب منه هو صَريح الإيمان، والحمد لله الَّذي كان غاية كيد الشَّيطان الوسوسَة، فإنَّ شيطان الجنِّ إذا غلب وَسْوَس، وشيطان الإنس إذا غَلَب كَذَب، والوسواس يعرضُ لكلِّ مَن توجَّه إلى الله تعالى بذكرٍ أو غيرِه، لابدَّ له من ذلك، فينبغي للعَبد أن يثبت ويصبر، ويلازم ما هو فيه من الذِّكر

(٣) رواه مسلم (٢٠٩).

والصَّلاة ولا يضجر، فإنَّه بملازمة ذلك ينصرفُ عنه كيد الشَّيطان، ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

وكلَّما أراد العبد توجُّهًا إلى الله تعالى بقَلبه جاء منَ الوسواس أمور أخرى، فإنَّ الشَّيطان بمَنزلة قاطع الطَّريق، كلَّما أراد العَبد أن يسير إلى الله تعالى أرادَ قطع الطَّريق عليه؛ ولهذا قيل لبَعض السَّلف: إنَّ اليهودَ والنَّصارى يقولون: لا نُوَسْوس، فقال: صَدَقوا؛ وما يصنَعُ الشَّيطان بالبيتِ الخرِب.

وتفاصيل ما يعرضُ للسَّالكين طويل موضعه، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم(٤).

تكبيرة الإحرام:

روى التِّرمذي في «جامعه»(٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى لله أَرْبَعِينَ يَوْمًا في جَمَاعَة يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى كُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّار، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاق**».

هذا حديثٌ جليلُ الشَّأن في بيانِ عظيم ثواب وجميلِ مآب مَن حافَظَ على تكبيرة الإحرام، وعُني عنايةً دقيقةً بإدراكها وعدم فَوَاتها، وليسَ المقصودُ بذكر الأربعينَ الاقتصار عليها ثمَّ الانقطاع بعدَ ذلكَ، وإنَّما المُراد بذلكَ ـ والله أعلَم ـ أنَّ الملازمةَ إذا استَمرَّت هذه المدَّة المبيَّنة، فالغَالب أنَّ المرءَ يتلذَّذُ بالعبادة ويتذَوَّقُ حلاوتَها، ويذهبُ عنه التَّكلُّفُ، فتحصُل له الاستقَامة والمداومَة بتَوفيق منَ الله عزَّ وجلَّ.

«والأربَعين فيها يتَحوَّلُ الإنسانُ مِن حالٍ إلى حالٍ، كما ثبتَ في «الصَّحيحَيْن»(٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يُجْمَعُ خَلْقُ أَحَدكُم في بَطْنِ أمِّه أربَعينَ يومًا، ثُمَّ يكُونُ عَلَقَةً مثْلَ ذَلكَ، ثمَّ يكُونُ مُضْغَةً مثْلَ ذَلكَ، ثمَّ يُنْفَخُ فيه الرُّوحُ**»»(٧).

(٤) «مجموع الفتاوى» لابن تيميَّة (٦٠٨/٢٢) باختصار.

(٥) (٢٤٠)، وحسَّنه الألباني في «الصَّحيحة» (١٩٧٩).

(٦) البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٧) «جامع المسائل» لابن تيمية (١٣٤/٦).

وإدراك التَّكبيرة الأولى سنَّة مؤكَّدة، وقولُه في الحديث: «**مَن صَلَّى لله**» أي خالصًا من قلبه لا رياءً ولا سُمعةً، «**التَّكبِيرَة الأُولى**» أي تكبيرة الإحرام مع الإمام، «**بَرَاءَة مِنَ النَّار**» أي خلاص ونجاة منها، «**وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاق**» في الدُّنيا من أن يعملَ عملَ المنافق، وفي الآخرة ممَّا يعذَّب به المُنافق.

وقَد كان للسَّلف الصَّالح رضي الله عنهم ورحمهُم مع هذه التَّكبيرة شأن عظيم، ومقَام رفيع:

قال وكيع بن الجرَّاح: «كانَ الأعمشُ قريبًا من سَبعين سنةً لم تَفُتْه التَّكبيرةُ الأولى، واختَلفْتُ إليه قريبًا من سَبْعينَ؛ فَما رأيتُه يقضِي ركعةً»(٨).

وقال غسَّان: «حدَّثني ابنُ أخي بشر بن منصُور، قال: ما رأيتُ عمِّي فاتَتْه التَّكبيرةُ الأُولى»(٩).

وقال سَعيد بن المسيِّب: «ما فاتَتْني التَّكبيرةُ الأُولى منذُ خمسينَ سنةً، وما نظرتُ إلى قفَا رجلٍ في الصَّلاة منذُ خمسينَ سنة»(١٠)، لمحافظَته على الصَّفِّ الأوَّل.

وقال محمَّد بن سماعة: «مكثتُ أربعين سنةً لم تفُتْني التَّكبيرةَ الأولى معَ الإمام إلَّا يومَ ماتَت فيه أمِّي ففَاتَتْني صلاةٌ واحدةٌ في الجماعة»(١١).

وقَال أبو داود: «كانَ إبراهيمُ الصَّائغ رجُلا صَالحًا، قتلَه أبو مُسلم بعَرَنْدَس، قال: وكانَ إذَا رفعَ المطرَقَةَ فسَمعَ النِّداءَ سَيَّبَها»(١٢).

وقال إبراهيم التَّيمي: «إذَا رأيتَ الرَّجُل يتَهاونُ في التَّكبيرة الأولى فاغْسِل يدَكَ منه»(١٣).

---

(٨) «سير أعلام النبلاء» (٦/٢٢٨).
(٩) «سير أعلام النبلاء» (٨/٣٦٠).
(١٠) «حلية الأولياء» (٢/١٦٣).
(١١) «تاريخ بغداد» (٣/٢٩٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/٦٤٦).
(١٢) «سنن أبي داود» (٣٢٥٤).
(١٣) «حلية الأولياء» (٤/٢١٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/٦٢).

وقَد كانَ جدِّي لوالدي وكانَ من العُبَّاد الصَّالحين. رحمه الله وأسكَنَه فردوسَه الأعلى. ذا عنايةٍ عظيمةٍ بهذه التَّكبيرة، بل منذ عرفناه وهو كلَّ يوم يدخل المسجد قبل أذان العصر، وإذا صلى العشاء خرج، وكذا دخوله المسجد لصلاتي الفجر والظهر، وأذكر أنَّ بعض طلبة العلم سألوا الوالد ـ حفظه الله ـ بحضور الجدِّ ـ عن صحَّة الحديث المتقدِّم فأجاب بأنَّه صحيحٌ، فقال أحدُهم: ومن يستطيع ذلك؟! فلمَّا خرج الجدُّ رحمه الله من المجلس ـ وكنتُ أمشي معه ـ؛ أخذ يردِّد: ومن يستطيع ذلك! ويكبِّر متعجِّبًا من قولِ مثل هذا، ولاسيما من طالب علم.

وقد ذكر أهلُ العلم أنَّه لا بأس إذا طمِع أن يُدرِك التَّكبيرة الأولى أن يُسرِعَ شيئًا ما لم يكُن عجلةً تقبُح، جاء الحديث عن أصحاب النَّبيِّ ﷺ أنَّهم كانوا يعجلون شيئًا إذا تخوَّفوا فَوات التَّكبيرة الأولى، وطمعوا في إدراكها.

روى ابن المنذر في «الأوسط»(١٤) عن رجل من طَيء، عن أبيه، قال: كان عبد الله ينهانا عن السَّعي إلى الصَّلاة، فخرَجتُ ليلةً، فرأيتُه يشتَدُّ إلى الصَّلاة، فقلت: يا أبا عبد الرَّحمن! كنتَ تنهانا عن السَّعي إلى الصَّلاة؛ فرأيتُك اللَّيلة اشتَددتَ إليها؟! قال: إنِّي بادَرتُ حدَّ الصَّلاة ـ يعني التَّكبيرة الأولى ـ.

حي باحة (30)، رقم (28) الليدو-المحمدية- الجزائر
الهاتف و الفاكس: 63 94 51 (21)
التوزيع(جوال): 08 53 62 (0661)

---

(١٤) (٤/١٤٧).

سِلسلة مطويات الفضيلة (24)

دفعُ الوَسواس

إعْداد
عَبْد الرَّزاق بن عَبْد المُحسِن البَدْر

دار الفضيلة للنشر والتوزيع